الحيـــاء

الحياء خلق قرآني تخلق رسول الله ﷺ به، فقد كان ﷺ أشد الناس حَيَاءً، وأكثَرهم إغضاءً.

عن أبي سعيد الخُدْري ﷺ قال: « كان رسول الله ﷺ أَشَدَّ حياءً من العَذْراءِ في خِدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهُهُ عرفناه في وجهه » (١)

إن الحياءُ خُلُقٌ يبعث على ترك القبح، ويمنع من التقصير في حَقِّ ذي الحقِّ كما قال العلماء ومن هذا التحديد لحقيقة الحياء نستطيع أن ندرك ما كان من الحياء وما ليس منه.

إن أعلا أنواع الحياء وأعظمَهَا شأناً أن تستحي من ربك في السر والعلن وأنت تعلم أنه ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ (٢)

والاستحياءُ من الله « **أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَتذْكُرْ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ** » (٣) كما جاء في حديث ابن مسعود ﷺ.

قال بعض العلماء: « إن الحياءَ الممدوح في كلام النبي ﷺ إنما إنما يريدُ به الخُلُق الَّذي يحثُّ على فعلِ الجميل وترك القبيح، فأما الضعف والعجز الذي يوجب

(١) متفق عليه.

(٢) غافر : ١٩.

(٣) رواه الترمذي.

التقصير في شئ من حقوق الله أو حقوق عباده فليس من الحياء، فإنما هو ضَعْفٌ وخَوَرٌ وعجزٌ ومهانة ».

ومن هذا نستطيع أن ندرك معنى قول رسول الله ﷺ: « **الْحَيَاءُ لا يَأْتِي إلاَّ بِخَيْرٍ** » (١)

والحياء نوعان:

أحدهما: ما كان جِبِلَّةً غيرَ مكتسب، وهو من أجلِّ الأخلاق التي يمنحها الله العبدَ ويَجبلُه عليها، ولهذا قال ﷺ: « **الْحَيَاءُ لا يَأْتِي إلاَّ بِخَيْرٍ** »؛ فإنه يكف عن ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق، ويحث على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليها فهو من خصال الإيمان بهذا الاعتبار. وهذا الحياء لا بُدَّ أن يُوصِّلَ صاحبه إلى الخير كما قال بعضُ أهل الحياء: « رأيتُ المعاصِيَ نَذَالَةً، فتركتُها مروءة، فاستحالت ديانة ».

النوع الثاني: ما كان مكتسباً من معرفة الله ومعرفة عظمته وقربة من عباده وإطلاعه عليهم وعلمه بخائنة الأعين وما تخفي الصدور فهذا من أعلا خصال الإيمان، بل هو من أعلا درجات الإحسان. والحياء المكتسب من معرفة الله ومعرفة حدوده يمكّن الإنسان من القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على صورة يحسنُ بها الاقتداءُ برسول الله ﷺ الذي تقول عنه عائشة – رضي الله عنها –:« **كان النبي ﷺ إِذَا بَلَغَهُ عَنْ الرَّجُلِ الشَّيْءُ، لَمْ يَقُلْ: مَا بَالُ فُلانٍ يَقُولُ ؟ وَلَكِنْ يَقُولُ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا** » (٢).

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبو داود.

أخي القارئ:

إن الحياة ترتبط بواجبات، والواجباتُ ترتبط بالوقت الذي هو أثمنُ وأغلى شيئ في الحياة « **وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ** » (١) »

وواجبات الناس في الحياة تختلف باختلاف المسئولية الملقاة على عاتقهم. وما أكثر ما ترى الناس يَنْسَوْن ما على غيرهم من واجبات فيؤذوهم بكثرة التردد عليهم أو طول المكث عندهم. وقد يمنع الحياءُ الفطري من مجابهة هؤلاء أو مصارحتهم.

فمن الواجب أن يُرَبَّى الجميعُ تربية قرآنية وأن يتعودوا في سلوكهم على أن يكونوا حيثُ يحبُّ الله ورسوله ويرضى.

وتعالوا بنا نرى موقف القرآن وهو يحدد للمؤمنين السلوك في دخول بيوت النبي ﷺ أو الانتظار فيها، ومنه نأخذ الأدب العام الذي يجب أن يتوافر بين الناس، دفعاً للحرج والأذى ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ** ﴾ (٢)

روى البخاريُّ عن أنس ﷺ قال: « **بُنِيَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ بِخُبْزٍ وَلَحْمٍ، فَأُرْسِلْتُ عَلَى الطَّعَامِ دَاعِيًا، فَيَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ، ثُمَّ**

---

(١) رواه البخاري.

(٢) الأحزاب : من الآية ٥٣.

يَجيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ، فَدَعَوْتُ حَتَّى مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُو، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّه، مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُوهُ. قَالَ: ارْفَعُوا طَعَامَكُمْ، وَبَقِيَ ثَلاثَةُ رَهْط يَتَحَدَّثُونَ في الْبَيْت، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَانْطَلَقَ إِلَى حُجْرَة عَائشَةَ فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْت وَرَحْمَةُ اللَّه. فَقَالَتْ: وَعَلَيْكَ السَّلامُ وَرَحْمَةُ اللَّه، كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ، بَارَكَ اللَّهُ لَكَ. فَتَقَرَّى حُجَرَ نسَائه كُلِّهِنَّ يَقُولُ لَهُنَّ كَمَا يَقُولُ لعَائشَةَ، وَيَقُلْنَ لَهُ كَمَا قَالَتْ عَائشَةُ، ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ فَإِذَا ثَلاثَةٌ منْ رَهْط في الْبَيْت يَتَحَدَّثُونَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ شَديدَ الْحَيَاء، فَخَرَجَ مُنْطَلقًا نَحْوَ حُجْرَة عَائشَةَ، فَمَا أَدْرِي آخْبَرْتُهُ أَوْ أُخْبِرَ أَنَّ الْقَوْمَ خَرَجُوا، فَرَجَعَ حَتَّى إِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ في أُسْكُفَّة الْبَاب دَاخلَةً وَأُخْرَى خَارِجَةً، أَرْخَى السِّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَأُنْزِلَتْ آيَةُ الْحِجَاب » (١)

ومحصل القصة – كما قال ابن حجر – أن الذين حضروا الوليمة جلسوا يتحدثون ، واستحيا النبي ﷺ أن يأمرهم بالخروج ، فتهيأ للقيام ؛ ليفتطنوا لمراده فيقوموا بقيامه ، فلما ألْهاهم الحديثُ عن ذلك قام وخرج فخرجوا بخروجه، إلا الثلاثة الذين لم يفطنوا لذلك ؛ لشدة شُغْلِ بالهم بما كانوا فيه من الحديث، وفي غضون ذلك كان النبي ﷺ يُريدُ أن يقوموا من غير مواجهتهم بالأمر بالخروج ؛ لشدة حيائه، فيطيل الغيبة عنهم بالتشاغل بالسلام على نسائه، وهم في شغل بالهم، وكانَ أحدُهم في أثناء ذلك أفاق من غفلته وبقي الإثنان، فلما طال ذلك ووصل النبي ﷺ منزله، فرآياه لما رجع ، فحينئذ فطنا فخرجا، فدخل النبي ﷺ وأنزلت الآية، فأرخى السِّتر بينه وبين أنس ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ

(١) رواه البخاري.

﴿ٱلْحَقِّ﴾[1]، كانوا يجلسون فيتحدثون طويلاً، وكان ذلك يؤذي النبي ﷺ ويستحيي أن يقول لهم: قوموا. فعلمهم الله الأدب ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ أي: لا يَتْرُكُ أن يبين لهم ما هو الحق.

نسأل الله أن يُؤَدِّبَنا بأدب القرآن ؛ حتى نتخلَّق بخُلق الرسول ﷺ.

✿✿✿

(١) الأحزاب : من الآية ٥٣.